الرؤية الصهيونية للجدار:

لعل الكثير من معالم الرؤية الصهيونية اتضحت من خلال استعراض المعلومات المتعلقة بالجدار وتأثيراتها على الشعب الفلسطيني، ولتحديد هذه الرؤية لا بد من استعراض الأبعاد التالية:

أ- البعد الأمني: الذريعة الأمنية هي السبب المعلن لبناء الجدار، وبلا شك فان ضربات المقاومة في العمق الصهيوني، وفشل كل الوسائل التي استخدمها العدو لوقف المقاومة، جعلته يبدل أولوياته ويتجه نحو بناء الجدار لتحقيق الهدف الأمني وأهداف أخرى، وهذا الهدف يسعى العدو لتحقيقه من خلال:

1- وضع حواجز مادية والكترونية وبشرية جديدة في مواجهة مجاهدي المقاومة، ولا سيما الاستشهاديين.

2- تعريض الشعب الفلسطيني لمزيد من الضغوط والعدوان بهدف إضعاف معنوياته ودفعه إلى الاستسلام لإرادة العدو ووقف المقاومة.

يحاول العدو استنساخ تجربته مع السياج الفاصل المضروب على قطاع غزة، باعتبارها تجربة ناجحة، حالت دون انطلاق الاستشهاديين من القطاع إلى فلسطين المحتلة عام 1948، والذي يستكمل في حالياً في رفح على الحدود بين قطاع غزة ومصر.

ب- مصادرة الأراضي: تقوم عقيدة الليكود السياسية بقيادة شارون على الاستمرار في احتلال وابتلاع الأرض الفلسطينية، فالأرض لديه هي جوهر الصراع، ومن ثم فإن مصادرة أكبر قدر من الأرض وضمها فعلياً إلى الكيان الصهيوني، تمهيداً لفرض أمر واقع مستقبلاً، يعد الهدف الرئيس لمسار الجدار بصورته الحالية، حيث صودرت أو ستصادر عشرات آلاف الدونمات، وحوصرت عشرات الآلاف الأخرى بين الجدار والخط الأخضر، كمرحلة أولى نحو المصادرة والضم بعد تفريغها من سكانها عبر إجراءات القهر والعنف التي تمارس على أهلها، كأحد أساليب الترانسفير.

ت- البعد الاستيطاني: مسار الجدار الفاصل لم تفرضه ضرورات أمنية، بقدر ما تشجع عليه الاعتبارات الاستيطانية، لذا حرصت حكومة الاحتلال على ضم أكبر قدر ممكن من المستوطنات في إطار الجدار، لهذا صار مساره متعرجاً بطريقة تحوي العدد الكبير من المستوطنات، وبما يتيح المجال لمزيد من الاستيطان في المناطق المحصورة بين ثناياه، ولعل المشروع الاستيطاني الأكبر الذي يتضمنه مخطط الجدار يتمثل في المرحلة الثالثة في غور الأردن.

ث- البعد السياسي: كانت خشية اليمين الصهيوني دائماً أن يشكل الجدار الفاصل حدوداً سياسية تؤدي إلى عودة حدود الكيان إلى حدود الرابع من حزيران 1967م، وكذلك خشية المستوطنين من تفكيك المستوطنات أو إبقائها خارج السور، ومن ثم تبقى دون ضم إلى الكيان الصهيوني، ولكن المخطط الجاري حالياً يتجاوز هذه المخاوف، ويعمل على تنفيذ خطة شارون للمعازل (البنتوستانات) والتي طرحها في لقائه مع رئيس وزراء ايطاليا عام 1997م، والتي تمثل رؤيته للحل السياسي القائم على دولة فلسطينية على 42% من مساحة الضفة الغربية، ومن ثم فإن مخطط الجدار يفرض واقعاً سياسياً حسب رؤية شارون للحل النهائي، ويضمن احتفاظ الكيان بالسيادة على غور الأردن حسب خطة أيلون التي عرضت قبل ثلاثين سنة تقريباً.

هذه الرؤية تعني في جوهرها فر ض الأمر الواقع وإنهاء ما تبقى من احتمالات التسوية في المستقبل، الأمر الذي يحول دون قيام دولة فلسطينية إلا إذا كانت بمواصفات رؤية شارون.

ج- البعد الأيدلوجي والنفسي: والذي عبر عنه باراك في شعاره الانتخابي "نحن هنا وهم هناك" وكأن ما يجري لا يعدو كونه عملية خداع للذات الصهيونية، فعملية نفي الشعب الفلسطيني من مدى الرؤية – عبر الجدار – سيؤدي إلى نفيه عملياً، وانتهاء الصراع بين الطرفين.

إن عقلية الجيتو الصهيونية، والتي جسدها شعار "سور وبرج" في مراحل الاستيطان الأولى لا تزال تتحكم بعقلية السياسي الصهيوني، ففي الوقت الذي انهار فيه سور برلين، و في الوقت الذي يتجه العالم فيه نحو الانفتاح والتواصل الحر المفتوح، يسعى الصهاينة إلى الانغلاق وخنق الآخرين، ويلاحظ في هذا الإطار أن الكيان الصهيوني قد حاصر نفسه فعلياً عن محيطه داخل فلسطين وخارجها بدلاً من حالة التمدد الجغرافي الذي حلم به الصهاينة (من الفرات إلى النيل)، وهذا يشكل تراجعاً على صعيد الأيديولوجي الصهيوني، سواء على صعيد ما سمي بأرض الميعاد أم على صعيد فكرة "إسرائيل الكبرى" إذ إن الأرض التي نجحوا في اغتصابها تتقلص وتعج بالجدران الأسمنتية يحاصرون فيها أنفسهم كما الشعب الفلسطيني.

كما يعبر الجدار بجلاء عن النزعة الاستعلائية العنصرية الساديّة التي تتلذذ بمعاناة الشعب الفلسطيني، على أيدي غرباء زرعوا على أرضه قسراً، في سياق نظام أشد وأقسى وأخطر من نظام الابارتهيد العنصري في جنوب أفريقيا سابقاً.
وقد اخبرنا الله عز وجل عن جبن اليهود وحرصهم على الحياة، وعن عقلية الجدار والأسوار المتأصلة في أعماقهم بقوله: "لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرىً محصنة أو من وراء جُدُر، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون"

ح- البعد الديمغرافي (السكاني): اعتمدت رؤية اليسار خاصة حزب العمل على المعطيات الديمغرافية، والسعي إلى تكريس وجود استمرار الدولة اليهودية بطبيعتها اليهودية العنصرية تلك، لتوفير مظلة ودعم صهيوني داخلي لمشروع الجدار، ويجدر التذكير هنا أن كلاً من سافير وباراك وحاييم رامون وشاحال وبن اليعازر هم من قادة حزب العمل، والذين كانوا خلف فكرة بناء الجدار الفاصل، وبالتالي فإن حزب العمل يعتبر أن الليكود عاد لتنفيذ رؤيتهم للفصل وأنه عملياً يقوم بتنفيذها.

ولعل من أشد مخاطر الجدار الفاصل، ما سيحدثه من عمليات طرد وهجرة قسرية داخلية في نطاق الضفة الغربية، تمهيداً ربما للترانسفير في سياق "الوطن البديل"، وتوفير فرصة لمزيد من مصادرة الأراضي والاستيطان وتزايد عدد المستوطنين في الضفة الغربية، وربما كان هذا هو الغرض الحقيقي من بناء الجدار، فلو كان الهدف منه أمنياً لاكتفوا ببنائه على طول الخط الأخضر.

ختاماً: أسلوب التعاطي مع الجدار الفاصل:

يتضح مما تقدم أن الجدار يمثل فصلاً عدوانياً وحشياً جديداً، ضد الأرض والإنسان الفلسطيني، وهو مخطط قديم متجدد، لنهب الأرض، ودفع أهلها للهجرة عنها ومصادرتها، وهو مخطط يحظى بالإجماع الصهيوني بين اليسار واليمين، وما التذرع بالمقاومة والحفاظ على الأمن الصهيوني سوى واجهة لمخطط الكانتونات الذي يقوده شارون.

ومما لا شك فيه فان العدو الصهيوني يجد دائماً الذرائع الملائمة لتنفيذ مآربه، سواء كان ذلك في ظل الانتفاضة والمقاومة أو في ظل التهدئة والتسوية، خاصة في ظل واقع الاستيطان الذي تضاعف أثناء حقبة اوسلو، ورغبة الاحتلال في إبقاء تلك المستوطنات قائمة وتحت السيادة الصهيونية.

وقد أكد الكاتب الصهيوني ب.ميخائيل في صحيفة يديعوت احرنوت بتاريخ 31/10/2003 أن الأمن ليس سوى ذريعة واهية لبناء الجدار وأن حكومة شارون تخفي وراءها دوافع أخرى حقيقية، على رأسها مصادرة الأراضي وزيادة معاناة الشعب الفلسطيني لإخضاعه، ولن يحقق الجدار سوى المعاناة للشعب الفلسطيني، ولكنه لن يؤدي مطلقاً إلى وقف العمليات الاستشهادية وتحقيق الأمن للصهاينة، بل سيشكل دافعاً جديداً للشعب الفلسطيني لاستمرار المقاومة.

يؤكد الواقع الذي يفرضه جدار الفصل الصهيوني العنصري أن حل الصراع لا يتم عبر صفقات جزئية هنا وهناك ، فالعدو قادر في كل مرحلة أن يفرض وقائع يضطر الطرف الفلسطيني المفاوض للتعامل معها، لتصبح ورقة مساومة جديدة في يد المفاوض الصهيوني، وذلك لاستلاب المزيد من الأرض والحقوق الفلسطينية، وهذا لا يلغي ضرورة تصعيد الحملة ضد بناء الجدار العنصري شعبياً وسياسياً وإعلامياً وعالمياً وبكل الوسائل المناسبة على ألا يغيب عن الأنظار والتخطيط بأن التحرير الشامل، من خلال تبني رؤية استراتيجية تقوم على اقتلاع جذور الكيان الصهيوني هو الطريق الحقيقي لحل كل المشكلات القائمة وذلك بتضافر الجهود الفلسطينية والعربية والإسلامية، ومن اجل أن يتحقق هذا الخيار الاستراتيجي لا بد من تبني استراتيجية الصمود المقاومة والصمود والتصدي لمخططات العدو، والثبات في الأرض مهما اشتدت الضغوط وظروف الحصار، مع الثقة بالنفس والتحرك بقوة لإيجاد وسائل الجهاد والمقاومة المناسبة لتخطي العوائق التي يفرضها الجدار الفاصل، بل وتحويل هذا الجدار إلى مصيدة وأهداف جديدة للمقاومة، وهذا تحدٍ أمام المجاهدين والخبراء لا بد من الانتصار فيه مستعينين بالله سبحانه وتعالى ثم بخبرات وقدرات مناسبة.

فالعدو واهم إذا تصور بان فرض الأمر الواقع يمكن أن يحل الصراع الوجودي بين شعبنا وامتنا من جهة والعدو الصهيوني من الجهة الأخرى، وكان يجدر بالعدو أن يأخذ العبرة من سقوط خط بارليف، وهدم جدار برلين، وفقدان خط ماجلان في فرنسا لدوره وفاعليته رغم عظمة تحصيناته، ليصل لنتيجة حتمية مفادها أن الجدران والحواجز والاستحكامات لن توفر للكيان الأمن أمام إرادة شعبنا في التحرر والخلاص من الإرهاب والاحتلال الصهيوني.